المحاضرة الثامنة: الفكر الخلدوني وقضايا أنثروبولوجية:موقفه من (السحر، الكيمياء، الفلسفة، التصوف)

ابن خلدون يجلس على حافة عالمين: عالم العقل والعلم الناشئ، وعالم الغيب والماورائيات المسيطر. كيف يمكن لعقلية منهجية صارمة أن تتعامل مع ظواهر مثل السحر والكيمياء القديمة؟ اليوم، سنقوم برحلة استكشافية في المناطق الحدودية للفكر الخلدوني، حيث يلتقي العقلاني باللامعقول، ونتتبع موقفه المتمايز من أربعة عوالم شائكة.

(1) الإطار النظري: منهج التمييز الخلدوني

ينطلق ابن خلدون من مبدأ منهجي حاسم": **التفريق بين ما هو خاضع للقوانين الطبيعية والاجتماعية، وما يتجاوزها** ."وهو لا ينفي الغيبي، بل يضع له ضوابط منهجية.

(2) السحر: بين النفي الأنثروبولوجي والإثبات الشرعي

أولاً: التحليل الاجتماعي للسحر

- **السحر كظاهرة اجتماعية** :يعامله ابن خلدون كحقيقة اجتماعية موجودة في المجتمعات، وليس كقوة حقيقية فاعلة.
- **السحر والطبائع** :يرفض فكرة أن السحر يمكن أن يغير طبائع الأشياء أو يخترق قوانين العمران.
- **التفسير السوسيولوجي** :يحلل السحر كأداة للسلطة والنفوذ في المجتمعات البدائية.

ثانياً: التمييز المنهجي الحاسم

يميز ابن خلدون تمييزاً منهجياً دقيقاً:

1. **السحر الحقيقي** :وهو ما ذكر في الشرع (سحر هاروت وماروت) ويقر بوجوده كحقيقة غيبية.
2. **السحر الوهمي** :وهو ما يمارسه المشعوذون والدجالون، ويعتبره خداعاً وحيلاً.

ثالثاً: الموقف المتوازن

- **لا ينكر مطلقاً** وجود السحر كحقيقة شرعية
- **ينكر إطلاقاً** قدرة السحرة على تغيير القوانين الطبيعية
- **يحلل** الظاهرة تحليلاً اجتماعياً بحتاً

(3) الكيمياء: نقد الخيمياء وتأسيس الكيمياء العلمية

أولاً: التفكيك النقدي للخيمياء

- **نقد الأسس** :يهاجم ابن خلدون الأسس النظرية للخيمياء (تحويل المعادن) ويعتبرها غير عقلانية.
- **المنهج التجريبي** :يطالب بالاعتماد على التجربة والملاحظة بدلاً من النظريات الباطلة.
- **التحليل الاقتصادي** :يحلل ظاهرة انتشار الخيمياء كرد فعل على الرغبة في الثراء السريع.

ثانياً: التمييز بين نوعين من الكيمياء

1. **الكيمياء الخر افية** :(الخيمياء) ويرفضها جملة وتفصيلاً
2. **الكيمياء العملية** :(الصناعات الكيميائية) ويقبلها كحرفة منتجة

ثالثاً: البرهان الخلدوني على استحالة تحويل المعادن

يقدم برهاناً اقتصادياً دقيقاً:

- لو كان تحويل المعادن ممكناً لانعدمت قيمة الذهب والفضة
- لكن القيمة تبقى ثابتة مما يدل على استحالة التحويل

(4) الفلسفة: نقد المنهج لا رفض المضمون

أولاً: الموقف المتمايز

موقف ابن خلدون من الفلسفة ليس رفضاً مطلقاً ولا قبولاً مطلقاً، بل **نقداً منهجياً**.

ثانياً: إشكالية العقل والوحي

- **يرفض** محاولات الفلاسفة تقديم براهين عقلية على المسائل الغيبية
- **يقبل** استخدام المنطق والأدوات العقلية في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية
- **يميز** بين مجالي العقل والوحي تمييزاً واضحا.

ثالثاً: تأسيس علم العمران كبديل

يقدم ابن خلدون علم العمران كبديل عن الفلسفة في دراسة المجتمع:

- **منهج استقرائي** بدلاً من المنهج الاستنباطي الفلسفي
- **الاعتماد على الملاحظة** بدلاً من التأمل المجرد
- **الربط بالواقع** بدلاً من التنظير المثالي

(5) التصوف: بين السلوك الروحي والانحراف الاجتماعي

أولاً: التمييز بين نوعين من التصوف

1. **التصوف السني** :يثني عليه ويراه سلوكاً أخلاقياً سليماً
2. **التصوف المنحرف** :ينتقده ويحذر من آثاره الاجتماعية

ثانياً: التحليل الاجتماعي للتصوف

- **التصوف كظاهرة حضارية** :يربط انتشار التصوف بمرحلة الترف والانحلال في الحضارات
- **دور الزوايا** :يحلل دور الزوايا الصوفية كمراكز للسلطة الاجتماعية
- **الاقتصاد الصوفي** :يناقش ظاهرة اعتماد المتصوفة على الصدقات والأوقاف

ثالثاً: الموقف المتوازن

- **يقدر** الجانب الأخلاقي والروحي في التصوف الشرعي
- **ينتقد** الممارسات المنحرفة والشعوذة باسم التصوف
- **يحلل** الظاهرة تحليلاً اجتماعياً واقتصادياً

إن ما نتعلمه من مواقف ابن خلدون هو نموذج للعقلانية المركبة التي:

- **لا ترفض التراث** بل تنقده
- **لا تعبد العقل** بل تحدده بمجاله

- **لا تنكر الغيب** بل تميزه عن الطبيعي
- **لا تقبل الظواهر** بسذاجة بل تحللها

إنها عقلانية ترفض الاختزالات:

- لا اختزال العالم في المادة
- لا اختزال المعرفة في العقل
- لا اختزال الحقيقة في المنطق

ابن خلدون يعلمنا أن نكون:

- **عقلانيين** دون أن نكون ماديين
- **نقديين** دون أن نكون متشككين
- **منهجيين** دون أن نكون اختزاليين
- **و اقعيين** دون أن نكون ماديين

إنها رؤية إنسانية شاملة تليق بعظمة العقل البشري واتساع عالمه.